**\*\*بسم الله الرحمن الرحيم\*\***

**وصلى الله على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، اللهم صل على محمد وآل محمد واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.**

**\*\*﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾\*\* (الإسراء: 9)**

**صدق الله العلي العظيم.**

**### \*\*مكانة التفسير النفسي في الدراسات القرآنية\*\***

**لقد تناول العلماء على مدى قرون تحليل القرآن الكريم تفصيلًا من خلال \*\*التفسير اللغوي والأدبي والكلامي والفقهي\*\* ونحو ذلك، إلا أنه لم يتم حتى الآن إخراج \*\*التفسير النفسي المتكامل\*\* للقرآن الكريم بشمول ودقة وعمق. ومع أن بعض المدارس الحديثة اهتمت كثيرًا بالتفسير العلمي للقرآن الكريم إظهارًا لإعجاز الكتاب وإثباتًا لنبوة النبي صلى الله عليه وآله، إلا أنها لم تُولِ اهتمامًا بالتفسير النفسي للقرآن الكريم. مع أنه لا يقل من حيث مظاهر \*\*إعجاز القرآن\*\* عن التفسير العلمي، خصوصًا مع تقدم \*\*علم النفس الحديث\*\* بمدارسه المتنوعة كعلم نفس النمو، وعلم النفس التحليلي، وعلم النفس السلوكي، وعلم النفس الاجتماعي، وعلم النفس التنظيمي. فإن اكتشاف \*\*الأسرار الفطرية\*\* في آفاق آيات القرآن الكريم من أروع صفحات الإعجاز للكتاب المبارك الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.**

**وقد جاءت أول محاولة جادة في هذا السياق، أي سياق التفسير النفسي، ما كتبه الباحث التركي جلال قير بعنوان "التفسير النفسي للقرآن". والبحث هنا حول هذا العنوان، ألا وهو \*\*التفسير النفسي للقرآن الكريم\*\*، في عدة محاور لا تستوعبها الليلة، بل ستستغرق لعلها ليلتين أو ثلاث.**

**### \*\*المحور الأول: تعريف التفسير النفسي\*\***

**بيان هذا المصطلح: ليس القرآن كتابًا في علم النفس ولا كتابًا في علم البلاغة ولا علم الكلام. لذلك فمن الخطأ ما يكتبه البعض بعنوان "علم النفس القرآني" أو "علم الاقتصاد القرآني". فإن \*\*العلم\*\* هو عبارة عن عرض النظريات والمدارس ونقدها وبيان الطرق الدخيلة في بناء الشخصية الإنسانية وفق الرؤية الإنسانية، وهذا ما اهتمت به مدارس علم النفس الحديث. بينما القرآن الكريم في صراط تحقيق الهدف الأصلي منه، والهدف الأصلي من القرآن الكريم هو \*\*الهداية\*\*؛ \*\*﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾\*\* (الإسراء: 9)، و \*\*﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾\*\* (النحل: 89).**

**الهدف الأصلي هو الهداية، والقرآن في صراط تحقيق هدفه وهو الهداية، أرشد إلى مجموعة من المفردات والحكم القيمية، ووضع نظمًا في مجال صناعة التوازن في شخصية الإنسان، حيث إن الإنسان مجموعة من القوى المتصارعة. فبما أن القرآن في مجال تحقيق هدف الهداية، أرشد إلى نظم وطرق تسهم في تحقيق \*\*التوازن في شخصية الإنسان\*\* بحيث تكون مسيرته الدنيوية تمهيدًا لحياته الحقيقية، ألا وهي الحياة الأخروية. \*\*﴿وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾\*\* (العنكبوت: 64). إذاً، القرآن ليس كتاب علم نفس، بل القرآن أرشد إلى مفردات قيم ومجموعة من النظم تسهم في تحقيق التوازن في شخصية الإنسان.**

**ولكن لاجل الاختلاف بين المدارس المختلفة في اقتناص الأبعاد النفسية من القرآن الكريم، اختلفت هذه المدارس في تحديد مصطلح \*\*التفسير النفسي للقرآن الكريم\*\* على عدة تعريفات.**

**### \*\*التعريف الأول: منهج تحليل النص\*\***

**التعريف الأول: ما اختاره الدكتور عبد الرحمن كاسبو، وهو كاتب تركي صدر منه مقال عام 2011 حول هذه النقطة. ذكر الدكتور في بحثه أن \*\*التفسير النفسي هو منهج من مناهج تحليل النص\*\*، سواء كان النص قرآنيًا أو نبويًا، أي نص نقوم بتحليله على ضوء أدوات من علم النفس فهو تفسير نفسي. التفسير النفسي عبارة عن تحليل أي نص من النصوص على ضوء أدوات مقتنصة من علم النفس. ولذلك فالتفسير النفسي للقرآن الكريم يتكفل بيان وجهة النظر النفسية في دراسة النص القرآني الإلهي من خلال الأسلوب الأدبي.**

**وبعبارات أشمل وأوسع، هو ذكر في مقاله قال: "التفسير النفسي هو النشاط الذي يستخدم المنهج النفسي (أي المنهج المستند لأدوات علم النفس) لإظهار مناسبة القيم المتعلقة بالإيمان والأعمال الطبيعية النفسية للإنسان، وبيان قدرة ذلك المنهج على تعليم المبادئ والأسس الموجهة للإنسان في الرسالة الإلهية، عبر دراسة تأويل الموضوعات والتصورات القرآنية عن أفكار الإنسان وأحاسيسه وسلوكياته".**

**هذا التعريف يتضمن أربعة عناصر:**

**1. \*\*المزج بين مصطلح التفسير والجري والتطبيق\*\*: هناك فرق بين المصطلحين، \*\*التفسير\*\* شيء و\*\*الجري والتطبيق\*\* شيء آخر. التفسير هو تحديد المراد الجدي من الآية عبر الأدوات اللغوية أو المرتكزات العرفية النوعية. أما الجري والتطبيق، فهو بعد الفراغ عن تحديد المراد الجدي، نقوم بربط هذه المضامين بالحياة المعاصرة. هو مزج بينهما، واعتبر ذلك كله داخلًا ضمن التفسير النفسي للقرآن الكريم.**

**2. \*\*تعميم التفسير ليشمل التأويل\*\*: عندنا التفسير شيء و\*\*التأويل\*\* شيء آخر. هو اعتبر الجميع مندرجًا تحت مصطلح التفسير النفسي، ليشمل تأويل التصورات القرآنية بلحاظ أهداف القرآن وابعاده.**

**3. \*\*الاعتماد على المنهج البشري\*\*: بما أن كشف المراد الجدي من القرآن يتوقف على أدوات بشرية (مثل أدوات علم النحو والبلاغة)، فقد استثمر هذه النقطة مجموعة من الباحثين فأقحموا الفلسفة وقواعد علم الكلام وبعض المعطيات من العلم الحديث في تفسير القرآن. وبحجة أن الوصول إلى المراد الجدي يحتاج إلى أدوات بشرية، فلا فرق في هذه الأدوات بين اللغة والفلسفة وقواعد علم الكلام. ولذلك نرى أن صاحب هذا التعريف اعتبر أن المنهج النفسي المستقى من علم النفس طريق للتفسير النفسي للقرآن الكريم.**

**4. \*\*تقييد حركة التأويل\*\*: هو صحيح عمّم التفسير للتاويل أيضًا، لكنه وضع قيدًا، وهو تقييد حركة التأويل بما ينسجم مع الإطار الأدبي للقرآن الكريم، لا أن يكون التأويل خارجًا عن إطار الأدب العربي.**

**### \*\*أمثلة على التعريف الأول\*\***

**\* قوله تعالى: \*\*﴿هُوَ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَىٰ﴾\*\* (طه: 7). يتم تحليل الآية بناءً على نظرية \*\*العقل الباطن\*\*، فيقال إن قوله \*\*"أخفى"\*\* إشارة إلى العقل الباطن عند الإنسان.**

**\* قوله تعالى: \*\*﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ \* وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾\*\* (البقرة: 204-205). حللها بعض الباحثين على نظرية \*\*ازدواجية الشخصية\*\*.**

**\* قوله تعالى: \*\*﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾\*\* (النمل: 14). فُسِّرت ضمن التفسير النفسي بنظرية \*\*قسرية التلقين الاجتماعي\*\*.**

**\* قوله تعالى: \*\*﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ... فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾\*\* (الفجر: 15). قالوا هذا مصداق \*\*للشخصية البراغماتية\*\*.**

**\* قوله تعالى: \*\*﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾\*\* (المائدة: 8). يستشهد بها الدكتور ياسر بكار على \*\*مهارة الذكاء العاطفي\*\*، وهي عزل المشاعر عن السلوك.**

**\* قوله تعالى: \*\*﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾\*\* (آل عمران: 139). يستشهد بها على مهارة \*\*إيحاء الأمل والتفاؤل\*\*.**

**### \*\*المحور الثاني: التعريف الثاني للتفسير النفسي (القرآن ككتلة واحدة)\*\***

**التعريف الثاني يعتمد على مقدمات.**

**\*\*المقدمة الأولى: الفرق بين الحقل النفسي والتفسير النفسي\*\***

**هناك فرق بين \*\*الحقل النفسي في القرآن الكريم\*\* وبين \*\*التفسير النفسي\*\*. هذا التحليل ينطلق من أن القرآن الكريم متعدد الحقول ومتنوع الروافد. ففيه:**

**\* \*\*الحقل الكلامي:\*\* كقوله تعالى: \*\*﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾\*\* (الأنبياء: 22). وقوله: \*\*﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾\*\* (الطور: 35).**

**\* \*\*الحقل الاجتماعي:\*\* مثل قوله تعالى: \*\*﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾\*\* (النحل: 112).**

**\* \*\*الحقل التشريعي:\*\* وهو القوانين.**

**\* \*\*الحقل التربوي:\*\* كقوله تعالى: \*\*﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾\*\* (آل عمران: 134).**

**\* \*\*الحقل النفسي:\*\* وهو مجموعة من القيم الخلقية والرُّشَح الروحية التي تسهم في بناء استقرار الإنسان، مثل قوله تعالى: \*\*﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾\*\* (لقمان: 18). وقوله: \*\*﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾\*\* (الفرقان: 63). وقوله: \*\*﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾\*\* (الرعد: 28).**

**المصطلح الأول الذي تعرضنا له، هو في الواقع \*\*تأمل في الحقل النفسي في القرآن\*\*، وليس تفسيرًا نفسيًا. أما \*\*التفسير النفسي\*\* (حسب التعريف الثاني) فهو عبارة عن النظر لمجموع القرآن \*\*ككتلة واحدة\*\* وكيان واحد له بعد نفسي محوري محدد، وهو \*\*الربط النفسي الوجودي بين الشخصية الداخلية للإنسان وبين القيمومة الإلهية\*\*.**

**\*\*المقدمة الثانية: الكلمة المحورية\*\***

**في علم الدلالة، يعتمد تحليل النص على الإمساك بالمفاتيح المقتنصة من عبائر النص. وأهم ركائز المفاتيح أن تركز على \*\*الكلمة المحورية\*\* في النص، فإن الكلمة المحورية تكشف عن الفكرة المحورية.**

**وعند قراءة القرآن قراءة تدبرية موضوعية، انطلاقًا من قوله تعالى: \*\*﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾\*\* (محمد: 24)، سنجد أن المفتاح الواضح لفهم المغزى هو التركيز على تحرر الإنسان من ذاته وانطلاقه من "أنا" إلى "أنت". والكلمة المحورية في أغلب آيات القرآن الكريم هي: \*\*الله\*\*.**

**القرآن يجعل \*\*المحورية للوجود كله لله\*\*، مقابل محوريه الإنسان في العلوم الإنسانية. والهدف الذي جعله القرآن غاية لنزوله هو \*\*إيصال الإنسان إلى الشفرة الخفية الكامنة في داخل نفسه\*\*، وهي الإحساس والشعور بالربط بين وجوده وبين القيمومة الإلهية. وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم في قوله: \*\*﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ \* وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾\*\* (الذاريات: 20-21).**

**\*\*المقدمة الثالثة: بيان المحورية النفسية في القرآن\*\***

**البيان الأول هو \*\*تركيز القرآن على حضور الله في كل تفاصيل الحياة\*\*، وذلك من خلال تأكيد القرآن على النظرة الطريقية لكل ما يرتبط به تعالى. فهو في جميع الحقول (الوصفي، التشريعي، التربوي، التاريخي) يتعامل بالطريق لا بالموضوعية، وكلها يعرضها ليضمنها كلمة \*\*"الله"\*\*، أي أنها طريق للوصول إلى تلك الشفرة وهي الارتباط القلبي الوجودي بالقيمومة الإلهية.**

**يتجلى ذلك في عدة ظواهر:**

**1. \*\*الحديث المباشر عن نفسه:\*\* مثل قوله تعالى: \*\*﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾\*\* (طه: 14) و \*\*﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾\*\* (الأنبياء: 92). فالحديث المباشر أقوى في الربط مع الإنسان، مثل خطابه لموسى عليه السلام: \*\*﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ \* وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾\*\* (طه: 40-41) و \*\*﴿قَالَ رَبِّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ \* قَالَ لَا تَخَافَا ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾\*\* (طه: 45-46).**

**2. \*\*ربط كل الوجود بذاته:\*\* مثل قوله تعالى: \*\*﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾\*\* (الحديد: 3) و \*\*﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ \* هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾\*\* (الحشر: 23-24). وقوله: \*\*﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾\*\* (الأنعام: 59).**

**3. \*\*التركيز على موارد الرهبة والخضوع:\*\* مثل قوله تعالى: \*\*﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ﴾\*\* (الرعد: 13). وقوله: \*\*﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ ۖ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾\*\* (طه: 108). وقوله: \*\*﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾\*\* (الزمر: 67).**

**4. \*\*ربط التفاعلات الجزئية بذاته:\*\* مثل قوله تعالى: \*\*﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾\*\* (الروم: 21). وقوله: \*\*﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾\*\* (النجم: 43). وقوله: \*\*﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ﴾\*\* (النجم: 49).**

**5. \*\*استخدام الأوصاف البشرية لبيان قيمومته:\*\* مثل قوله تعالى: \*\*﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾\*\* (آل عمران: 54). وقوله: \*\*﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾\*\* (الأنفال: 17). وقوله: \*\*﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾\*\* (ق: 16).**

**إذاً، التعريف الثاني لمصطلح التفسير النفسي هو تفسير لعموم القرآن. كل القرآن يهدف إلى هذا الهدف، وهو \*\*محورية الله\*\*، ومعنى محورية الله أن يصل الإنسان إلى مستوى الشعور بهذه المحورية والقيمومة المنبثقة في كل مساحات الوجود.**

**يأتي الكلام إن شاء الله حول بقية المحاور، ونظرية السيد الأستاذ مد ظله في مجال التفسير النفسي ولوازمها وآثارها، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا وآله محمد الطيبين الطاهرين.**